رجل يشبه الفراغ!

أقرأ مثلكم الصحف، وأسمع وأشاهد الأخبار، وثمة خبر يتكرر كل نصف ساعة، مفاده أن السيد محمد مرسى يشغل منصب الرئاسة، لكنى أشك شكا عظيما فى صدق الخبر، ربما لأن السيد مرسى «رجل يشبه الفراغ.(!)« عرفت السيد مرسى شخصيا قبل انتخابات الرئاسة بسنوات، فقد كنا نجتمع كقيادة لحركة كفاية مع قيادات الإخوان فى مكتب الإرشاد، وكنا ـ فى كفاية ـ نحاول جرهم للمشاركة فى مظاهرات الشارع ضد حكم مبارك، وكانوا يتهربون غالبا بأعذار تافهة، ولم يكن محمد مرسى يظهر فى الاجتماعات الأولى، فقد كان ـ على ما يبدو ـ أصغر شأنا من المشاركة فى اجتماعات يحضرها المرشد، وإن ظهر فيما بعد، ودون أن يترك فى النفس أثرًا، فقد كان من هؤلاء الذين تشاهدهم فلا تلحظهم، وحين يتحدث، فلا تعرف ـ بالضبط ـ فيم يتحدث، وربما لا يعرف هو نفسه، وهو ما يدفعك لابتسامة ساخرة، فهو يقول الكلام والسلام، وتبدو ثقافته متواضعة جدًا، وفى مستوى ثقافة خدام المساجد، وقد دهشت لاستمرار طريقته نفسها بعد انتخابه رئيسا، فقد دعيت لأول لقاء جمعة مع رؤساء تحرير الصحف، وظل الرجل يتكلم قرابة الساعتين، ودون صلة ملموسة لكلامه بالأسئلة التى توجه إليه، يسألونه عن الطماطم، فيتكلم عن البيض، يسألونه عن حقوق النساء، فيروح فى غيبوبة ثرثرة طويلة عن بعثته الدراسية فى أمريكا، وعن مشاهداته مع زوجته لتنوع علاقات الرجال بالنساء فى أمريكا وأوروبا، ويبدو أن الرجل ـ مرسى ـ لاحظ ضيقى الظاهر، وتأففى مما أراه وأسمعه، أو أن أحدا من معاونيه نبهه إلى ضيقى، فوجدت مرسى يتحدث عن تنظيم لقاء لاحق مع الصحفيين ورؤساء التحرير، وأضاف الرجل: لم نسمع

كلام الأستاذ عبد الحليم قنديل هذه المرة، وننتظر أن نسمعه فى المرة الثانية، ووجدتنى أرد عليه تلقائيا وبالعامية المصرية «دا إذا كان فيه مرة تانية يا دكتور»(!)، صفق الحاضرون وبوغت الرجل، وربما صدم من ردى، فوجدتنى أضيف على الفور «أقصد ما فيش مرة تانية بالنسبة لى»، وقد كان، فلم أستجب بعدها لأى دعوة وجهت لى من قصر رئاسة مرسى ولا من رئيس وزرائه.(!) كان انطباعى عن مرسى أنه «رجل طيب» لا أكثر، كان يلفت نظرى فيه تواضعه الخلقى، كان يبدو رجلا متدينا والسلام، وبلا معرفة ولا دراية، وبلا ذكاء لماح تلحظه العين، كان يبدو مطيعا لقياداته الإخوانية، يفرط فى التزلف لهم، ويؤمن أن الطاعة سبيل الترقى، وقد ترقى الرجل بالفعل إلى أرفع مرتبة، وفى مصادفة تقديمه كمرشح «احتياطى» لخيرت الشاطر رجل الإخوان القوى بفلوسه، ثم فى حرج المفاضلة بجولة الإعادة بينه وبين أحمد شفيق رجل المخلوع مبارك، واضطرارنا إلى الدعوة لانتخابه على طريقة أكل الميتة ولحم الخنزير، وتفضيل اختيار مرسى تجنبا لعار شفيق، وهكذا ترقى الرجل إلى أرفع المناصب فى مصادفات التعاسة، وبرغم ترقية مرسى إلى منصب الرئاسة الرفيع، فإن الرجل ظل على حاله المتواضع، لا أقصد تواضع الخلق فهو محمود، بل تواضع المقدرة والكفاءة، وانعدام حس المبادرة، وافتقاد الخيال السياسى، وهكذا مارس مرسى دوره فى الرئاسة كأنه موظف أرشيف، وبدا ميالا إلى «هطل سياسى» منقطع النظير فى عمر مصر الألفى، بدا الرجل غريب الأطوار، وتلاحقه «لعنة النحس» حيث يحل، يتحدث كثيرًا عن الأخلاق ودين الإسلام، وربما لا يعلم أن الفقهاء قالوا فى أمثاله قولا بليغا، فقد قال الإمام أبوالحسن البصرى «إذا عرض للإمامة اثنان، أحدهما أفقه والآخر أسوس، وجبت الإمامة للأسوس، لأن حاجة الأمة للسياسة آكد من حاجتها إلى الفقه»، فما بالك بمرسى؟، فلا هو الأفقه ولا الأسوس، علمه بالدين سطحى، ومجرد «عنعنات»، ولا تزيد ثقافته الإسلامية عن ثقافة خادم المسجد، وعلمه بالسياسة كما تعرف، وربما ننصحه

بالدخول فى «مسابقة سياسية» مع المطرب الشعبى شعبان عبدالرحيم، وإن كنا نظن أن مقعد الفوز محجوز لشعبان عبدالرحيم، فالأخير مطرب ذائع الصيت فى عوالم الميكروباصات، بينما يبدو مرسى مغرما بدنيا «التكاتك»، وكما بدا فى خطابه الأول إلى الأهل والعشيرة.(!)

وربما يبدو مرسى كضحية للظروف، فالرجل لم يكن يريد أو يحلم بترشيح نفسه للرئاسة، وقياداته الإخوانية هى التى رشحته، وهى التى ألقته إلى التهلكة، فقد أرادت رئيسا اسميا لا رئيسا فعليا، أرادته رجلا ضعيفا، لا يهش ولا ينش، أرادته صفحة بيضاء تكتب فيها ما تشاء، وتملى عليه ما تريد، وعبر إحاطته بسوار من رجال خيرت الشاطر فى قصر الرئاسة، أحدهم ينقل إليه ما يجب أن يقال، وآخر يدير ملف السياسة مع الأمريكيين، وثالث يدير ملف الاقتصاد، ورابع يدير ملف المصروفات السرية، لكن وجود معاونين لمرسى لم ينه مشكلة ضعف مرسى، بل زاد الطين بلة، وأضافت ضعفا إلى ضعفه، فمكتب إرشاد الإخوان نفسه مكون من عناصر بدائية، ولا يفهم من معنى إدارة الدولة غير جلب الأسلاب والغنائم، وغير إحلال الإخوان عند مفاتيح المال والسلطة، ودون النظر فى معايير الكفاءة أو الملاءمة، وهكذا وجدنا الطوابير تلو الطوابير من الإخوان فى مقاعد الوزراء والوكلاء والمحافظين ورؤساء مجالس المدن، ودون مؤهل يذكر سوى الحصول على شهادة «ليسانس إخوان»، وكانت النتائج كوارث، فقد انحط أداء الدولة على انحطاطه الموروث من أيام مبارك، وبدا عمل الدولة المصرية بدائيا بصورة مفزعة، وصارت القصة كلها مساخر، فليس بوسع الإخوان أن يديروا دولة، ولا حتى أن يديروا محطة بنزين، فأشعلوا البلد غضبا، وأصبحت صفة «الإخوانى» كأنها جريمة ماسة بالشرف، وصار الإخوان كالطفح الجلدى يفر منهم الناس، وعلى طريقة فرار السليم من الأجرب، فلم يتوقع أحد، ولا حتى أشد الناس كراهة للإخوان، أن يكون أداؤهم فى السلطة على هذه الدرجة من الانحطاط، وبعبقرية غبية عجيبة، تعيد

تكرار الأخطاء نفسها كل مرة وكل يوم، وبلا مقدرة تذكر على التعلم، وكأنهم يتعلمون الحلاقة فى رءوس اليتامى، ودون أمل فى ترقية «صبى الحلاق» إلى درجة «الأسطى»، وتماما كمرسى الذى أثبت لشانئيه أنه لا يصلح لمنصب رئاسة بلد بحجم مصر، ولا يصلح لمنصب وزارة، ولا حتى كرئيس لمجلس قروى(!) نعم، محمد مرسى رجل قد تلحظه فيزيائيا، لكنك لا تراه سياسيا، فهو الرجل الذى يشبه الفراغ.

"صوت الأمة" فى ٢٥ من مارس ٢٠١٣

obeikan.com